مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد:28 عدد:2 (رت 76) السنة:2024

الأزمة البيئية الراهنة من منظور سيد حسين نصر

The current environmental crisis from the perspective of Seyyed Hussein Nasr

عولمي رشيدة [1]
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة
oulmi.rachida@univ-emir.dz
احسن برامة
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة
barama.ahcene@yahoo.fr

تاريخ الوصول 2023/11/21القبول 2024/01/06 النشر على الخط 2024/03/15
Received 21/11/2023 Accepted 06/01/2024 Published online 15/03/2024

ملخص:

يعتبر سيد حسين نصر من طليعة المفكرين المسلمين الذين استأثرت اهتمامهم الأزمة البيئية الراهنة فتعاطوا مع تداعياتها وفيما يلي تقديم مقاربة تحليلية لها كما وردت في أدبياته بتسليط الضوء بداية على دلالتها وظواهرها البارزة ومن ثمة العروج إلى تقصي جذورها والتي يحصرها في التصور الميكانيكي للعالم وفقدان الرمزية الروحية بإفراغ الكون من محتواه المقدس والذي عده إفرازا مباشر لنزع القداسة عن المعرفة في الغرب وبناء عليه يقترح علاجا يتمثل أساسا في إعادة القداسة للكون وصبغه بصبغة رمزية و الذي لا يتأتى إلا بإعادة القداسة للمعرفة والتأكيد على طابعها التنويري.

الكلمات المفتاحية: الأزمة البيئية، علمنة الكون، العلموية، تصنيف العلوم.

Abstract:

Seyyed Hussein Nasr is deemed as one of the pioneers of the Islamic thinking whose interest was allow the current environmental crisis which they deeply studied. the following is an analytical approach as presented in his literature by spotting the light on its indications and prominent phenomena,then moving to investigating its roots which restrict in the mechanical perception of the world and losing the spiritual symbolism by emptying the universe from its sacred content which has been considered an explicit secretion to de sanctify from knowledge in the western world. as a result they suggest a solution by restoring holiness to the universe that will not be affected by anything except by restoring holiness to knowledge and confirming its unlighted nature..

Keywords: Environmental crisis, secularization of the universe, scientism, classification of sciences.

[1] – المؤلف المراسل: **عولمي رشيدة** البريد الإلكتروني:**oulmi.rachida@univ-emir.dz**

مقدّمة:

يشهد كوكب الأرض أزمة بيئية حادة أضحت تطرح نفسها بإلحاح نظرا إلى أن مظاهرها تشكل في الوقت الراهن واقعا بيئيا ممتدا ليصيب جل مناطق العالم مهددة بتغيير معالمه وعناصر الحياة فيه.

لقد تكشفت معالم الأزمة البيئية بنحو سافر إذ لا يكاد يمضي أسبوع من دون أن تطالعنا وسائل الإعلام العالمية بأخبار كوارث بيئية تقع هنا وهناك في أرجاء مختلفة من العالم مما جعل العلماء والساسة ومنظمات المجتمع المدني ووسائل الإعلام المختلفة يدقون ناقوس الخطر، ويطالبون بإرساء دعائم فكر بيئي يدعو إلى التعايش مع البيئة بل أكثر من ذلك ضرورة إيجاد وعي بيئي لدى كل فرد في العالم يؤدي إلى التفاعل الإيجابي مع آثار الأزمة البيئية وتداعياتها الكارثية الملموسة بالمشاركة بحمايتها ورعايتها، والتوقف عن استغلالها استغلالا جائرا.

وتجدر الإشارة إلى أنه منذ أوائل ستينيات القرن الماضي بدأت حملات جادة تتصدى لمشكلات البيئة، ويشير العديد من المعلقين إلى أن كتاب راشل كارسون "الربيع الصامت" الصادر سنة 1962هو المحفز للحركة البيئية التي عصفت بالأمة خلال عقد من صدور الكتاب، لقد أكدت كارسون أن الاستخدام الواسع لمبيدDDT قتل ملايين العصافير المحبوبة لدى الأمريكيين بإضعاف بيضها، واستحثت مواطنيها للتفحص النقدي لمعاييرهم المسلم بها تجاه الطبيعة الحية، إن حديثها التحذيري لم يبرهن فحسب على أن العصافير كانت تموت بسبب الممارسات البشرية غير الحصيفة، بل تضمن أيضا أن الدور قد يأتي على الناس[1].

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن الأزمة البيئية وقضاياها قد طرحت على بساط البحث العلمي في أواخر الستينيات من القرن العشرين عندما لجأت آنذاك دولتا السويد والنرويج إلى الأمم المتحدة، واقترحنا عليها عقد مؤتمر دولي للنظر في حماية البيئة من التلوث بعد أن ضاقت ذرعا بمشكلة تلوث بحيراتها ونفوق أسماكها، وبالفعل عقد مؤتمر ستوكهولم سنة1972، ومنذ ذلك التاريخ والدراسات العلمية للأزمة البيئية تحظى باهتمام الباحثين للتحليل ومعرفة الأسباب ووضع الحلول والمعالجات[2].

ويعتبر سيد حسين نصر في طليعة المفكرين المسلمين الذين استأثرت اهتمامهم الأزمة البيئية، فتعاطوا مع تداعياتها، وفيما يلي تقديم للأزمة البيئية من منظوره والتي سوف نرسم خطوطها البيانية من منطق الإجابة على الأسئلة التالية:

فيما تتمثل جذور الأزمة البيئية من منظور سيد حسين نصر ؟

وهل هي ناجمة عن عوامل طبيعية أو عوامل يكون للبشر دور كبير فيها ؟

وهل هي أزمة أخلاقية ؟

هل الكائنات غير البشرية تمتلك قيمة بحد ذاتها أم أنها مجرد مواد خام طيعة في يد الإنسان لتحقيق أغراضه وإشباع رغباته؟

هل للعلم بمفهومه الحديث وتطبيقاته في شكل تكنولوجيا دور في المشكلات البيئية الراهنة؟

---

[1] مايكل زيمرمان، " الفلسفة البيئية"، تر: معين شفيق رومية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ج1، ع: 332، أكتوبر 2006، ص: 15

[2] ساجد الركابي، هديل الأسدي، حق الإنسان في بيئة نظيفة من التلوث، ص-ص: 19-20، (المؤسسة الحديثة للكتاب، ط1، 2019.

وعندما يقال إن العلم والتكنولوجيا يعززان تقدم الإنسان، فما المقصود بالإنسان ؟

هل للتصور الميكانيكي للعالم وإفراغه من محتواه المقدس دور في الأزمة البيئية الحالية؟

وهل إصلاح ممارساتنا الحالية عن طريق التحكم بالتلوث، وتشجيع التدوير مثلا كاف لتجاوز هذه الأزمة ؟

هل للرؤى الكونية التقليدية دور في حل الأزمة البيئية الحالية وتجاوز مخاطرها؟

قبل البدء في الإجابة على هذه التساؤلات، وبالتالي الخوض في الحديث عن حيثيات الأزمة البيئية كما وردت في أدبيات سيد حسين نصر لابد أن نلقي الضوء في البداية على دلالتها وظواهرها البارزة، فما هو مدلول الأزمة البيئية وماهي أبرز ظواهرها؟

أولا: تحديد مفهوم الازمة البيئية:

يصح الحديث عن أزمة بيئية عندما تطرأ تغيرات كبرى على الوسط الطبيعي والحيوي الذي يعيش فيه نوع أو أنواع معينة من الكائنات الحية، مما يهدد بقاءها على قيد الحياة، وتكون الأزمات البيئية شاملة عندما تمس تأثيراتها وتداعياتها مناطق عديدة شاسعة من الكرة الأرضية[1].

ثانيا: أبرز ظواهر الأزمة البيئية:

لو عرجنا على ظواهرها لألفيناها غدت جلية للعيان لكثرة ما تتسارع وتيرة حدوثها، ولأنها أصبحت من الموضوعات المستأثرة باهتمام وسائل الإعلام المختلفة على مدار السنة، من تلك الظواهر يذكر بصفة خاصة: التلوث المتعدد الأشكال للبيئة، حدوث تغيرات مناخية غير مسبوقة مثل: الاحتباس الحراري، الجفاف، التصحر، تسارع ذوبان الجليد في القطبين الشمالي والجنوبي وهو ما يؤدي إلى ارتفاع مستوى المحيطات، تسارع وتيرة حدوث الأعاصير والفيضانات، حدوث موجات برد وعواصف ثلجية استثنائية، تفاقم أزمة شح الموارد المائية على نحو خطير، اتساع مساحات الأراضي غير القابلة للزراعة، ارتفاع نسبة انقراض كثير من الأنواع الحية[2].

ثالثا: تقارير أممية حول آثار الأزمة البيئية:

لعل من المفيد في هذا المقام إيراد بعض التقارير كمصادق للأزمة البيئية العالمية وأثارها المدمرة للصحة البشرية فضلا عن الكائنات الحية الأخرى وأهم تلك الوثائق والتقارير والأدبيات البيئية الآتي:

في تقرير لمنظمة الصحة العالمية وبعنوان: العلاقة بين تغير المناخ والصحة في جويلية2016، أوردت المنظمة معلومات مهمة عن تأثير التغيير في المناخ على الصحة البشرية، فذكرت أنه على مدى السنوات الخمسين الماضية تسببت الأنشطة البشرية، وبخاصة حرق الوقود الأحفوري في انبعاث ثاني أكسيد الكربون وغيره من الغازات الدفيئة بكميات تكفي للتأثير في المناخ العالمي[3].

ومن الآثار الناتجة عن التغير المناخي الحر الشديد والذي يسهم مباشرة في حدوث الوفيات التي تنجم عن الأمراض القلبية الوعائية، والأمراض التنفسية وخصوصا بين المسنين، فعلى سبيل المثال سجل أكثر من 70000وفاة إضافية أثناء موجة الحر التي حدثت في

[1] عبد العزيز الدواي، " أضواء على الأزمة البيئية المعاصرة "، سلسلة دراسات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، سبتمبر 2012، ص: 1

[2] المرجع نفسه، ص- ص: 1-2

[3] ساجد الركابي، هديل الأسدي، حق الإنسان في بيئة نظيفة، مرجع سابق، ص-ص: 46-47.

صيف عام 2003في أوروبا.

ومن المرجح أن التغير المتزايد في أنماط سقوط المطر يؤثر في إمدادات المياه العذبة مما يؤدي إلى الجفاف والمجاعة، ومن المرجح أن تغير المناخ بحلول التسعينيات من القرن الحادي والعشرين، سيزيد المساحة المتضررة من الجفاف وسيضاعف معدل توتر نوبات الجفاف الشديدة وسيزيد متوسط مدتها ست مرات [1].

أما الفيضانات فهي تزداد توترا وشدة، والفيضانات تتسبب في تلوث إمدادات المياه العذبة وتزيد مخاطر الإصابة بالأمراض المنقولة بالمياه وتهيئ أرضا خصبة للحشرات الناقلة للأمراض مثل البعوض، ومن المرجح أن يتسبب ارتفاع درجات الحرارة وتغير أنماط الهطول في انخفاض إنتاج الأغذية الأساسية بمقدار50 في المائة في كثير من أشد المناطق فقرا في بعض البلدان الأفريقية بحلول عام 2020[2].

أما أنماط العدوى كأحد نتائج التغير المناخي، فمن المرجع أن تتسبب تغيرات المناخ في إطالة فصول انتقال الأمراض الهامة المنقولة بالنواقل وفي تغير نطاقها الجغرافي، والملا ريا من هذه الأمراض التي تتأثر تأثرا قويا بتغير المناخ، فالملا ريا التي ينقلها بعوض الأنوفيلة، تؤدي بحياة 800000 شخصا تقريبا، معظمهم من الأطفال الأفارقة دون سن الخامسة وبعوض الزاعجة الذي ينقل حمىَ الضنك هو الآخر شديد الحساسية للظروف المناخية، وتشير الدراسات إلى أن تغير المناخ يمكن أن يعرض ملياري شخص آخر إلى انتقال حمى الضنك بحلول2080 [3].

وفي الحملة العالمية التي قادتها منظمة الصحة العالمية في شراكة مع التحالف من أجل المناخ والهواء النقي، لرفع مستوى الوعي حول تأثير تلوث الهواء على الصحة وبعنوان: تنفس الهواء: حملة عن مخاطر تلوث الهواء – رسوم توضيحية– أوردت معلومات مهمة عن أثر تلوث الهواء والانبعاثات منها: أن الهواء الملوث يتسبب بوفاة: 2,2 مليون شخص سنويا جراء الإصابة بالسكتة الدماغية، و2 مليون شخص سنويا جراء الإصابة بأمراض القلب، و1,7 مليون شخص سنويا جراء الإصابة بسرطان الرئة.

كما أشارت التقديرات إلى أن تلوث الهواء أوقع 6, 5 مليون وفاة عام 2012, وأن نسبة 92 بالمائة من سكان المدن لا يتنفسون هواء مأمونا[4].

وتحسن الإشارة أيضا إلى بروز معطى جديد في الأزمة البيئية تمثل أساسا فيما يعرف الآن باللاجئين البيئيين ويبدو أن هذا المصطلح لم يجد بعد مكانه في منظومة القوانين الدولية الخاصة بحماية اللاجئين، والمقصود به الدلالة على أن أشخاص أو جماعات أجبروا على الهجرة من مناطقهم الأصلية إما مؤقتا أو بصفة دائمة بسبب كوارث بيئية طبيعية أو ناجمة عن نشاطات البشر عرضت وجودهم للخطر أو أثرت في سبل عيشهم المعتادة، ويعيش اللاجئون البيئيون حاليا في ظروف مزرية في تجمعات عشوائية أقيمت على عجل على هوامش بعض المدن أو في مناطق خالية وهم محرومين من أي حماية قانونية معترف بها، وينتشرون بصفة خاصة في

[1] المرجع نفسه، ص–ص: 48–49.
[2] المرجع نفسه، ص: 50
[3] المرجع نفسه، ص–ص: 59–60.
[4] المرجع نفسه، ص –ص: 59–60.

بنغلادش وسريلانكا والهند وبعض جزر المحيط الهادي، وبعض بلدان الساحل والصحراء في إفريقيا وقد انضم إلى هؤلاء منكوبو فيضانات باكستان الجدد ومنكوبو الكارثة النووية اليابانية لعام 2011 [1].

ومن المفيد التذكير هنا بأن التحذيرات الأولى المتعلقة بهذا المشكل الجديد قد أطلقت سنة 1933 من طرف الباحث الانجليزي المتخصص في قضايا البيئة نورمان مايرز في دراسة له تناولت ظاهرة الارتفاع الحراري في العالم وعلاقتها بظاهرة اللاجئين البيئيين، وقد قدر هذا الباحث آنذاك أن عدد اللاجئين البيئيين سيصل إلى25مليون في حدود سنة 1995، وأنه مرشح للارتفاع إذا استمرت التغيرات المناخية على وتيرتها الحالية من دون البحث عن حلول جادة لها واليوم وبحسب تقديرات المفوضية العليا للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين فإن عدد اللاجئين البيئيين يتزايد كل سنة بستة ملايين نسمة، وبحسب التقديرات الأكثر تفاؤلا فإن العقود الأربعة القادمة ستشهد ارتفاع عدد المشردين بسبب التغيرات المناخية إلى 200 مليون نسمة، ويحذر الباحثون في هذا الميدان من أن السنوات المقبلة ستعرف موجات عديدة من الهجرات البشرية الناجمة عن الكوارث البيئية لن تكون بمنأى عن تداعياتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأمنية أي قارة أو بلد[2].

رابعا: أسباب الأزمة البيئية الراهنة من منظور سد حسين نصر:

إن النتائج الوخيمة التي أفرزتها الأزمة البيئية الراهنة عبر مناطق متباينة من أرجاء المعمورة عمق الإحساس بخطورتها، وأهلها لتصبح موضوعا لنقاشات عالمية لا تفتأ تتسع.

وجدير بالذكر أنه في خضم النقاش حول أسباب الأزمة البيئية المعاصرة ومدى تأثيراتها نشأت وتطورت تيارات فكرية وعلمية تولي اهتماما كبيرا لهذه الأزمة وتنظر لها، ويمكن جمعها في تيارين رئيسين:

-التيار الأول: وهو ما يعرف بتيار الإيكولوجيا العميقة الذي يعتقد أن جذور الأزمة البيئية هو المركزية البشرية، تلك النظرة التي ترى البشر وحدهم أصل ومعيار كل قيمة، فمثل هذه النظرة تولد غطرسة تدفع الناس إلى التعامل مع الكائنات غير البشرية على أنها مجرد مواد خام مركونة لإشباع الحاجات والرغبات البشرية[3].

- التيار الثاني: وهو ما يعرف بالنسوية الإيكولوجية الذي يعتقد بدوره أن الجذر الرئيسي للأزمة البيئية هو البطريركية (النظام الأبوي) تلك البنية الاجتماعية الجائرة التي تسوغ استغلال النساء والطبيعة إذ تعتبرهما في مرتبة أدنى من الرجال ؛ أي أن التراتبية الجائرة عموما هي المسؤولة عن السلوك الاستغلالي، سواء أكان هذا السلوك موجها نحو النساء والطبقات الدنيا، أو نحو الحيوانات والمنظومات البيئية [4].

ولسيد حسين نصر تنظير مختلف حول جذور الأزمة البيئية فارق من خلاله التيارين الآنف ذكرهما، إذ يرجع السبب في الأزمة البيئية إلى:

---

[1] عبد العزيز الدواي، " أضواء على الأزمة البيئية المعاصرة "، مرجع سابق، ص-ص: 7-8.

[2] المرجع نفسه، ص: 8.

[3] مايكل زيمرمان، " الفلسفة البيئية"، مرجع سابق، ص: 17.

[4] المرجع نفسه، ص: 18.

1- علمنة الكون: بإفراغه من محتواه المقدس، والذي يرتد بدوره إلى عامل يتصل مباشرة بطبع العلوم الحديثة المعاكس للعلوم التقليدية، فالعلم الغربي يستند إلى اعتبار العالم الطبيعي حقيقة منفصلة عن الله وعن مستويات الكينونة العليا، وفي أحسن الأحوال فإن الله مقبول كخالق للعالم أو كبناء شاد بيتا يقف الآن معتمدا عن نفسه أما تدخله في إدارة شؤون هذا العالم فليس موضع قبول في النظرة العلمية الحديثة للعالم، والواقع أن ثمة فروقا شاسعة بين الرؤية الكونية للعلم الغربي ونظيرتها للعلم الإسلامي، وبناء عليه فإن اعتبار العلم الغربي مجرد استمرار للعلم الإسلامي يعني سوء فهم مطبق لأسسهما المعرفية والعلاقة التي تربط كلا منهما بعالم الإيمان والوحي، كما يعني أيضا سوء فهم الخلفيتين الماورائية والفلسفية لكلا العلمين، فالعلم الإسلامي يربط دائما مستويات الوجود الدنيا بالمستويات الأعلى ويرى العالم المادي ببساطة على أنه أدنى المستويات في الحقيقة الهرمية للكون الذي يعكس الحكمة الإلهية، وبناء عليه فإن العلم الإسلامي في مفهومه الأعمق هو فن مقدس يهب الإنسان القدرة على أن يتأمل في الكون المرئي كأيقونة تكشف ما وراءها من عالم روحاني[1].

أما الخلفية التي يقوم عليها العلم الحديث فهي تختلف اختلافا جذريا من الناحية الفلسفية عن جميع العلوم التقليدية المتوارثة، فقد ولد العلم الحديث عن طريق الثورة العلمية التي حدثت في القرن السابع عشر ميلادي، في وقت كانت الفلسفة الأوربية نفسها قد ثارت ضد الوحي وضد النظرة الدينية إلى العالم فخلفية العلم الحديث نظرة فلسفية معينة ترى أن معالم العالم المادي ؛أي المكان والزمان والمادة والحركة والطاقة حقائق مستقلة عن المراتب العليا للوجود ومقطوعة الصلة بقدرة الله، إنها تنظر إلى العالم المادي على أنه في المقام الأول موضوع خاضع للقياس الرياضي والكمي، كما تضفي بشكل ما نزعة مطلقة على الدراسة الرياضية للطبيعة ضاربة عرض الحائط بمظاهر الوجود المادي غير القابلة للقياس الكمي [2].

إن موقف سيد حسين نصر من العلم الحديث يتسق مع المذهب العام للرجل وهو بالتالي امتداد لفكر الفلسفة التقليدية وعليه يحسن بنا في هذا المقام إيراد توصيفا للعلم الحديث كما ورد عند رونيه غينون أحد أهم أقطاب الفلسفة التقليدية والذي يقول: « يمكن أن ينظر بحق إلى العلم الدوني؛ أي علم المحدثين كدراية جاهلة فهي دراية من نمط سفلي تتعلق برمتها بأدنى مستويات الواقع، وجاهلة بكل ما يتجاوزها وجاهلة بكل غاية أسمى منها كجهلها بكل مبدأ يمكن أن يوفر لها مكانة مشروعة أيا كان موقعها المتواضع من بين مختلف مستويات المعرفة الكلية، وبانغلاقها الذي لا رجعة فيه في النطاق النسبي الضيق الذي ادعت استقلاليتها فيه قطعت نفسها عن الاتصال مع الحقيقة المتعالية والمعرفة العليا، فما هي في الواقع سوى علم تافه وهمي مصدره ومورده العدم[3]».

لقد كان القياس الكمي للطبيعة هو الأساس الذي قام عليه العلم في القرن السابع عشر ميلادي أولا في دراسة حركات الكواكب السيارة، ومن ثم تطوير قوانين الفيزياء بناء على تلك الدراسة، وقد جرى تطوير العلم الجديد في الأغلب على يد كوكبة من مشاهير أعلام الثورة العلمية مثل: جاليليو وكبلر ونيوتن، بينما قام ديكارت ولايبنيتز وعدد قليل من الرياضيين الآخرين بتوفير

[1] سيد حسين نصر، دليل الشاب المسلم في العالم الحديث، ص: 230، (تر: فاروق جرار، صادق عودة، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2004.)

[2] المصدر نفسه، ص-ص: 230-231.

[3] عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، ص: 64، (تر: عبد الباقي مفتاح، الأردن، إربد، عالم الكتب الحديث، 2017).

الأدوات والوسائل الرياضية الهامة من أجل تنفيذ الدراسة الجديدة للطبيعة[1].

وقد نجم عن الاتجاه المادي الذي نزع إليه العلم الغربي الحديث فكرة الاختزالية العلمية Scientific Reductionism التي مكنت علماء الفيزياء من تفسير الحقيقة المادية الفيزيائية من خلال حركة الذرات، وقام أشخاص مثل ديكارت لم يروا في الجسم البشري شيئا أكثر من مجرد آلة بتوسيع نطاق هذا المفهوم، وحاول علماء الكيمياء دراسة التفاعلات الكيميائية ضمن هذا المنظور، وتحويل الكيمياء إلى مجرد شكل من أشكال الفيزياء، ومن ثم إلى حركة للجسيمات الفيزيائية في نهاية الأمر، ويمكن وصف فكرة الاختزالية المتأصلة في العلم الحديث بأنها اختزال أو تخفيض الروح spirit إلى مرتبة النفس psyché، والنفس إلى نشاط بيولوجي، والحياة إلى مادة لا حياة فيها، والمادة التي لا حياة فيها إلى مجرد جسيمات كمية أو حزم من الطاقة يمكن قياس حركتها وقياس كمياتها أيضا[2].

ومذهب الاختزالية العلمية إحدى أهم القوى في العالم الحديث التي ترمي دائما إلى تخفيض الأعلى إلى مرتبة الأدنى، ولا تسمح بأن تعزى إلى الحياة حقيقة ترتفع فوق المكونات المادية التي تشكل خلية معينة وتتجاوز تلك المكونات كما أنه لا يسمح بأن تعزى للنفس أية حقيقة تتخطى النشاطات البيولوجية للجسم الذي يتمتع بحياة نفسية، ولا أن تعزى للروح أية حقيقة تتعدى نشاطات النفس، ويتم مسخ الإيمان بالله إلى عقد نفسية، ومسخ الوعي إلى نشاط بيولوجي، والحياة إلى حركة جزيئية[3].

والواقع أن بالإمكان القول بأن الاختزالية العلمية هي أحد المكونات الرئيسية لما يسمى بالعلموية scientism، والعلموية هي الانغلاق والانحصار في العالم المادي، وإنكار كل علم لا يتعلق بالأشياء المادية[4]، والإعلاء بذلك من أمر العلم التجريبي ليكون هو المصدر الوحيد للمعرفة أو المصدر الأعلى الحاكم على بقية المناهج، فالعلم صاحب سلطان الفهم في قضايا الفلسفة والسياسة والاقتصاد، هو المعرفة الوحيدة الصحيحة والممكنة، وهو ما يعبر عنه بمقولة: «إمبريالية علم المختبرات على جميع ميادين المعرفة»[5].

والعلموية بذلك فلسفة توسع نطاق العلم الحديث ليغدو عقائدية كلية تصل إلى كونها طريقة للنظر إلى جميع الأشياء [6]، ما أهلها للتصدي للإجابة على الأسئلة الوجودية الكبرى التي كانت تنتمي إلى نطاق الدين والفلسفة، وتجدر الإشارة إلى أن مذهب ديكارت الإوالي (نسبة إلى الآلة)، قد كان منطلقا لهذا الاتجاه؛ ذلك أن ديكارت لما أنشأ علمه الفيزيائي كان يفكر بالخصوص في أن يستخلص منه علما ميكانيكيا وطبا وأخلاق.[7]

---

[1] سيد حسين نصر، دليل الشاب المسلم في العالم الحديث، المصدر السابق، ص-ص: 232-233.

[2] المصدر نفسه، ص: 235.

[3] المصدر نفسه، ص: 236.

[4] عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحدبث، مرجع سابق، ص: 96.

[5] سامي عامري، العلموية...الأدلجة الإلحادية للعلم في الميزان، ص: 31، (الكويت، رواسخ، 2021).

[6] سيد حسين نصر، دليل الشاب المسلم في العالم الحديث، مصدر سابق، ص: 237.

[7] عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحدبث، مرجع سابق، ص-ص: 96-97.

وقد أحسن الفيلسوف [*]دالس والرد إدراك العقيدة العلموية في قوله: «توجد حقيقة واحدة، وهي العالم الطبيعي والفيزياء نبيها » [1]، وإلى المعطى ذاته يشير [**]ألكسندر روزنبرغ بقوله «علينا أن نحقق نظرتنا إلى الواقع مما تخبرنا به الفيزياء إذ اكنا نريد أن نكون علمويين، علينا أن نفعل أكثر من ذلك، سيتعين علينا أن نعتبر الفيزياء الحقيقة الكاملة عن الواقع»[2]. بناء على ما سبق، فإن العلموية تعتقد أن الفيزياء قادرة على الإحاطة بكل الحقائق الكونية وأن من رأى العالم من عدسة الفيزياء فقد رآه كما هو على حقيقته، وبالتالي لم تعد هناك حاجة إلى مصدر آخر للمعرفة، وأن الحاجة إلى الله تفسيرا لوجود الكون ليست إلا بقية الطفولة الفكرية للإنسان؛ ذلك أن الإيمان بالإله يعود إلى جهل الإنسان بتفسير الأسباب الطبيعية لظواهر الكون، وأنه لما شب الإنسان عن طوق الجهالة واكتشف نواميس الطبيعة قرر أن يؤمن بالعلم الكاشف لآلية عمل الطبيعة لا الإله المتوهم الذي تسد به الثغرات[3].

نخلص في الأخير إلى أن السيطرة العلموية هي التي جعلت النظرة الدينية إلى الكون تبدو وكأنها غير ذات صلة من ناحية فكرية، وأنها قضت إلى حد بعيد على الحقيقة الروحية التي شاهدها الإنسان حوله باستمرار كما أنها محت من الطبيعة كل ما يمكن أن يدعوه المرء بناحية الافتتان التي كثيرا ما يشير إليها القرآن الكريم مزيلة بذلك الفكرة الإسلامية الأساسية لظواهر الطبيعية بوصفها من آيات الله التي تتجلى في خلقه[4].

2- خصائص العلم الحديث: من جملة ما عده سيد حسين نصر سببا في الأزمة البيئية الراهنة ما تميز به العلم الحديث من خصائص ميزته عن العلوم الإسلامية وغيرها من العلوم التقليدية الأخرى، فقد تغيا هذا العلم منذ البداية السلطة والسيطرة على الطبيعة كما عبر عن ذلك الفيلسوف الإنجليزي فرانسيس بيكون، والذي يحظى بأهمية كبيرة لأجل فهم أحد المظاهر المحورية في العالم الحديث ألا وهو الاعتماد على العلم كوسيلة للقوة، وقد سعى في الواقع إلى خلق علم جديد يمكن الإنسان من السيطرة على الطبيعة والهيمنة على محيطه وبيئته، وقد ركز على الفائدة التي تجنى من العلم، ويمكن أن يعد من أصحاب المذهب الفلسفي النفعي[5].

و تميز بيكون بقوة اتجاهه المعاكس للميتافيزيقا، وبدعمه في غالب الأحيان لفلاسفة اليونان ذوي النزعة المادية، وحاول أن يصف ما عرف فيما بعد بالأسلوب العلمي مؤكدا على وجوب تجميع البيانات وإجراء التجارب من أجل معرفة أسرار الطبيعة التي تتكشف

---

[*]دالس ألبرت والرد: (1935-2013): فيلسوف أمريكي معروف بكتاباته حول التكوين الروحي المسيحي، ارتبطت الكثير من أعماله بفلسفة إدموند هوسرل والذي ترجم الكثير منها للإنجليزية، شغل منصب أستاذ للفلسفة بجامعة كاليفورنيا، عن موقع ar.m.wikipedia بتاريخ 1-1-2023.

[1] سامي عامري، العلموية...الأدلجة الإلحادية للعلم في الميزان، مرجع سابق، ص: 58.

[**]ألكسندر روزنبرغ: (1946-): أستاذ الفلسفة بجامعة ديوك بالولايات المتحدة الأمريكية، عن موقع: wikiwand.com بتاريخ: 31-12-2022.

[2] Rosenberg , the atheist's guide to reality enjoying life without illusions , p: 20 ,Alexander (U.S.A ,2012).

[3] سامي عامري، العلموية...الأدلجة الإلحادية للعلم في الميزان، المرجع السابق، ص: 184.

[4] سيد حسين نصر، دليل الشاب المسلم في العالم الحديث، مصدر سابق، ص: 237.

[5] المصدر نفسه، ص: 238.

من خلال الملاحظة المنظمة.

وينسب الكثيرون الفضل إليه في وضع أساس الطريقة العلمية أو الأسلوب العلمي كما عبر إسحاق نيوتن بأنه مدين لبيكون، ولذلك لا يتمثل أهم ما تركه بيكون من تراث في الفلسفة النظرية البحتة بل في فلسفة العلم ومنهجيته ودعمه للعلم كمشروع تنهض به الدولة، وهو موروث كتب له أن يشكل أحد مظاهر الحضارة الأوروبية[1]، وقد شارك توماس هوبز فرانسيس بيكون وجهة نظره القائلة بأن المعرفة يجب أن تمنح القوة للإنسان وتحسن من أحواله المادية [2].

و بحسب ما تقدم ذكره فإن الحكومة البريطانية قد ابتدأت من القرن السابع عشر ميلادي في دعم العلوم بناء على نصيحة بيكون، ورجال من أمثاله، وتأمل الحكومات هذه الأيام من خلال العلم الحديث في الحصول على السلطة والسيطرة على الطبيعة، وتأمل بالأسلوب ذاته في الحصول على المزايا الاقتصادية والعسكرية التي ستكون بمقدورها تسخيرها لمصلحتها [3].

3- التكنولجيا الحديثة: علاوة على ذلك فإنه مع ظهور الثورة الصناعية، واختراع الآلات الحديثة تغيرت وسائل الإنتاج في الغرب، وظهرت على المسرح تكنولوجيا متحالفة تحالفا وثيقا مع علم ذي نزعة مادية صرفة، إن هذه التكنولوجيا هي التي نزعت عن البشر رجالا ونساء إنسانيتهم وحولتهم إلى امتداد للآلة.

وتجدر الإشارة إلى أنه في التطبيق غير المحدود للتكنولوجيا الحديثة احتمال تدمير البيئة الطبيعية بل زوال الحياة البشرية على وجه هذه البسيطة، ولا يقتصر تلويث البيئة الطبيعية فقط على كونه نتيجة للتطبيق العسكري للتكنولوجيا الحديثة وأهوال الحروب التي استخدمت فيها هذه الأخيرة خلال القرن العشرين والتي توجت بالقنبلة الذرية بل أيضا نتيجة لما يسمى بالاستعمالات السلمية لها، والخطر الكبير الذي يتهدد مستقبل البشرية والمتمثل في التدمير التدريجي للبيئة [4],ويعلق رونيه غينون على التكنولوجيا الحديثة بقوله: «التطبيقات العملية تشكل التفوق الفعلي الوحيد بالحضارة الحديثة، وهو تفوق لا تحسد عليه، وبتطوره إلى حد خنق كل شغل آخر أضفى على هذه الحضارة طابعا ماديا صرفا جعل منها وحشية حقيقة »[5].

بناء على ما سبق، فإن الانشغالات النفعية المادية قد تبوأت المكانة الأولى عند المحدثين، وجدير بالذكر أن هذا التوجه المادي الصرف كان نتيجة للنزعة الإنسانية التي تتخذ من الإنسان في حياته الواقعية العملية موضوعا لها، والتي قصدت إلى اختزال كل شيء داخل الحدود البشرية الصرفة، وتجاهل كل مبدأ من طراز عال ؛ أي الإعراض عن السماء بذريعة غزو الأرض، وبسعي النزعة الإنسانية إلى إرجاع كل شيء إلى مقدار الإنسان البشري المعتبر كغاية في حد ذاته أدى إلى الهبوط درجة تلو الأخرى إلى أن هوى إلى أحط مستوى بشري بحيث لم يبق سوى الجري للبحث عن إرضاء الرغبات الملازمة للجانب المادي من طبيعته وهو في حد ذاته بحث وهمي إذ أنه يبتدع احتياجات زائفة أكثر مما يستطيع تلبيته[6].

---

[1] المصدر نفسه، ص-ص: 198-199.

[2] المصدر نفسه، ص: 201.

[3] المصدر نفسه، ص: 238.

[4] المصدر نفسه، ص-ص: 238-239.

[5] عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، مرجع سابق، ص: 20.

[6] المرجع نفسه، ص-ص: 21-22.

ويقيم رونيه غينون العلوم الغربية وتطبيقاتها في شكل تكنولوجيا بقوله: « إن العلوم الغربية وتطبيقاتها الصناعية معارف دونية عديمة الجدوى في نظر الحائز على معرفة من مستوى آخر، مقدر لها أن تتحقق ولكن لن يحصل هذا إلا خلال طور يختفي فيه العرفان الحقيقي. وهذه البحوث المنحصر هدفها الوحيد في النطاق العملي (المادي أو النفساني الدوني) بأضيق معنى لهذه الكلمة لامناص من حدوثها، لكن لم يكن ليتحقق إلا في أقصى موقع معاكس للروحانية الفطرية الأصيلة الأولى، وتتحقق على أيدي أناس مستغرقين في المادة إلى حد انعدام تصور أي شيء وراءها، وكلما أرادوا استغلالها أكثر كلما ازدادت عبوديتهم لها، فينقادون إلى هيجان متزايد بلا ضابط ولا هدف ؛أي التشتت في التكاثر الصرف الذي ينتهي بالتلاشي التام» [1]

في الأخير تحسن الإشارة إلى أنه قد كان للحضارة الإسلامية من الوسائل ما يمكنها من صنع الآلات المعقدة وتطبيقاتها في مشكلات الحياة اليومية للأمة الإسلامية ولكنهم كالصينيين الذين كان لديهم البارود ولم يفكروا قط في البنادق لم يتقدموا الخطوة التي تؤدي إلى خلق تقنية لا تنسجم مع البيئة الطبيعية فصناعة الآلات عندهم تناولت عديدا من الأنواع من آلات الزراعة ووسائل النقل التي كانت تستخدم بالفعل في الحياة اليومية إلى الساعات المعقدة التي كانت تبعث البهجة في نفوس الخلفاء والأمراء، والمسلمون لم يستخدموا عمليا كل ما كانوا يعلمون في هذا المجال لأنهم شعروا شعورا غريزيا بخطورة تطور التكنولوجيا التي تستخدم النار والحديد وكلا العنصرين غريب عن البيئة الطبيعية، واستخدامها لذلك يؤدي حتما إلى فقدان التوازن إزاء الطبيعة الذي هو مركز النظرية الإسلامية والذي كان تحطيمه خطرا على الإنسان المعاصر وسببا في الأزمات المتلاحقة التي تعرفها جل مناطق العالم[2].

خامسا: الحلول للازمة البيئية الراهنة من منظور سيد حسين نصر:

بناء على ما سبق فإن السبب في الأزمة البيئية المعاصرة هو التصور الميكانيكي للعالم، وإفراغ الكون من محتواه المقدس وفقدان الرمزية الروحية والذي يعد إفرازا مباشرا لنزع القداسة عن المعرفة في الغرب، وبالتالي فالعلاج للأزمة البيئية الراهنة من منظور سيد حسين نصر يتمثل أساسا في:

1- إعادة القداسة للكون: بصبغه بصبغة رمزية، وبالتالي التوجه إلى الطبيعة بغرض استمداد الغذاء الروحي منها، والذي لا يتأتى إلا بإعادة القداسة للمعرفة والتأكيد على طابعها التنويري، وهو المعطى الذي يشير إليه سيد حسين نصر بقوله: «إن هدف المعرفة هو ليس في اكتشاف المجهول الذي يقع في العالم غير المكتشف خارج كينونة طالب المعرفة، أو خارج حدود المعلوم، بل في العودة إلى أصل الأشياء كافة الموجود في قلب الإنسان وداخل كل ذرة من العالم فالحصول على معرفة الأشياء يعني أن تعرف من أين صدرت وإلى أين تعود في النهاية.»

إن الإنسان التقليدي على خلاف الإنسان المعاصر سواء أكان مسلما أو غير مسلم كان بدون شك يعرف أين هو، والى أين يسير، وكانت العلوم التقليدية تساعده دوما على رسم طريقه في رحلته المحفوفة بالمخاطر من موطنه الحاضر إلى مقره الأخير خلال

[1] المرجع نفسه، ص: 24.

[2] سيد حسين نصر، العلوم في الإسلام، ص: 139، (تر: مختار الجوهري، تونس، دار الجنوب للنشر).

متاهات الكون [1].

وبناء عليه، فإن هدف العلوم التقليدية هو الانعتاق الروحي باندماج الجزء في الكل الموحد.

2- تصنيف العلوم وفق مراتب الموجودات الكونية: إن الإنعتاق الروحي الذي هو مسعى العلوم التقليدية يقتضي إعادة تصنيف العلوم من جديد تصنيفا يحمي الأمر المقدس من أن يغمره الدنس، ويصون الغاية العظمى للمعرفة من النسيان وسط بريق أشكال العلم المتغيرة بسرعة متسارعة أكثر فأكثر[2]، ولأجل تحقيق هذه الغاية لابد أيضا من تصنيف العلوم وفق مراتب الموجودات الكونية ما يجعلها مرتبطة ارتباطا عضويا من شكل العناصر المادية حتى أعلى الما ورائيات عاكسة الواقع نفسه، كما يجعلها مرتبطة أشد الارتباط بالعالم العلوي فتنتهي بذلك إلى غاية واحدة وهي معرفة الواحد الأحد وإلى جوهره الأعلى الذي هو من وجهة نظر أخرى جوهر كل معرفة [3]، يقول سيد حسين نصر «كانت وحدة العلوم عبر كل الأزمنة هي أول وأهم فكرة ملهمة وكان يتم على ضوئها دراسة العلوم المختلفة وكانوا على أساس هذا الشهود والإشراق غير القابل للنقاش عن وحدة المعرفة ينظرون إلى العلوم المختلفة على أنها أغصان مختلفة لشجرة واحدة وهي تورق وتثمر وفقا لماهية وطبيعة تلك الشجرة [4]»

وهو المعنى الذي يؤكده رونيه غينون بقوله: «تمكن أهمية علم ما في كونه كالامتداد أو كالفرع من المذهب الميتافيزيقي أكثر من النظر إليه في حد ذاته علما بأن القسم الجوهري للمذهب يتشكل من الميتافيزيقا الخالصة»[5]، ويقول أيضا: «فهي كتطبيقات للمذهب التراثي تتيح التواصل بين جميع مراتب الحقائق وإدراجها في وحدة التوليف الكلي، هذا من جانب ومن جانب أخر، هي بالنسبة للبعض على الأقل ملائمة لاستعداداتهم وملكاتهم وميولهم، وإعداد للتوجه نحو معرفة أعلى ؛ أي نوع من السلوك نحوها، وفي التوزيع المتدرج لهذه العلوم التراثية وفق مراتب الوجود المنتمية لها، يمكن العروج إلى التحقق بالمعرفة الروحانية الخالصة»[6].

3- بعث الكونيات الإسلامية: إن تصنيف العلوم وفق مراتب الموجودات الكونية يقتضي إعادة بعث الكونيات الإسلامية التي لم تكن قط تعميما للعلوم الطبيعية، ولا امتدادا للفيزياء والواقع أنه لا صلة بينه وبين ما يعرف اليوم بعلم الكونيات وإنما هو تطبيق للمبادئ الكونية ذوات الطبيعة الماورائية على الوجود الكوني إذ تقوم العلوم الكونية بضم الظواهر الطبيعية المتنوعة في أطر فكرية تعكس في مجموعها المبادئ المنزلة والفكرة المركزية[7].

ولأجل ذلك فإن علم الكونيات يتصل اتصالا مباشرا بأسس الوحي الإسلامي وبما وراء الطبيعة التي تنبع من رسالة القرآن الباطنة

---

[1] سيد حسين نصر، مقدمة إلى العقائد الكونية الإسلامية، ص: 199، (تر: سيف الدين القصير، سوريا، اللاذقية، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 1991).

[2] سيد حسين نصر، العلوم في الإسلام، المصدر السابق، ص: 22.

[3] المصدر نفسه، ص-ص: 14-207.

[4] Seyyed Hussein Nasr , science and civilization in islam , p: 59 , (abc International group ,2001).

[5] عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، مرجع سابق، ص: 61.

42 المرجع نفسه، ص-ص: 61-62.

[7] سيد حسين نصر، مقدمة إلى العقائد الكونية الإسلامية، مصدر سابق، ص: 13.

ومن تعاليم الرسول المكملة[1].

وبناء عليه، فعلم الكونيات يهدف إلى تكوين رؤية تمكن الإنسان من اختراق العالم المرئي إلى حالات الوجود العليا وخلق علم لميدان الكون يكون بمثابة المعراج يرتقي به الإنسان إلى سقف الكون لذلك فإنه في جميع أحوال دراسة الكونيات ظل الهدف دائما واحدا وهو تحويل الكون وجزئياته إلى أيقونة يمكن التأمل فيها ومرآة يظهر من خلالها الواحد الأحد ضمن نطاق التعدد ذاته[2]، وتقوم الطبيعة من ثمة بتوفير الخلفية الضرورية والمعرفة اللازمة لرحلة العارف وهي الوسائل التي توصله إلى الانعتاق الروحي [3]، وهو ما يوضحه سيد حسين نصر بقوله «...فليس من الضروري دراسة الطبيعة إشباعا لحب الاستطلاع أو من أجل الدراسة فقط ولا حتى باعتبارها غاية بحد ذاتها بل إن قناعتهم بشرعية التعلق بدراسة العلوم الطبيعية تعود إلى غاية حياة الإنسان وشغفه بالمعرفة هي الحصول على معرفة الباري الذي تنعكس حكمته في خلقه بطريقة تجعل دراسة هذه الحكمة المنعكسة تؤدي إلى معرفة الباري نفسه[4]».

إن العلوم الكونية التقليدية لم تزود الإنسان برؤية تأملية للطبيعة فحسب بل هي مكنته من إن يعرف مكانه في نظام الكون وساعدته على القيام برحلته إلى ما وراء الكون معينة إياه بطريقة مباشرة على حماية الطبيعة ذاتها[5]

وقد وضع أئمة الروحانيات الإسلامية عدة خطط تصف بنية الكون وسر انتقال الإنسان في طبقاته وصفا رائعا، من ذلك: منطق الطير للعطار وإنشاء الدوائر لابن عربي، والإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي، وغير ذلك من المؤلفات الكثيرة على نفس الغرار تعرض نماذج عديدة للخطط الكونية التي تظهر الإنسان في مكانه الحقيقي في مراتب الموجودات الكونية في أدنى نقط القوس النزولي وبداية القوس الصعودي، وتصف هذه المؤلفات أيضا الوسائل التي بها يتمكن الإنسان من اختراق ما فوقه من المستويات حتى يصل إلى أعلى السماوات التي هبط في الأصل منها[6].

ولمزيد توضيح وبيان فإن الكون والإنسان في العلوم الكونية التقليدية يعكسان في وجودهما ورمزيتهما المبدأ الأعلى وقد أبدعا بصورة حفظت بينهما ضربا من التناسق والمماثلة كما أن الحقيقة القائمة في قلب الإنسان تستقر كذلك وراء حجب ظواهر الطبيعة وعليه فكل حادثة وكل سمة من سمات الطبيعة تقابل عنصرا من مكونات الإنسان لذلك عرف الإنسان بالعالم الصغير وعرف الكون بالعالم الكبير[7].

والإنسان إلى جانب كونه عالم صغيرا فهو كذلك الحلقة الوسطى في سلسلة الوجود الكبرى التي تمتد من أدنى كائنات مملكة المعادن إلى أرفع مراتب كبار الملائكة، والإنسان بفضل مقامه المتوسط هذا وبماله من حرية الإرادة يستطيع أن يرقى إلى صعيد

---

[1] سيد حسين نصر، العلوم في الإسلام، المصدر السابق، ص: 36.

[2] المصدر نفسه، ص: 36.

[3] المصدر نفسه، ص: 209.

[4] المصدر نفسه، ص: 210.

[5] المصدر نفسه، ص: 210.

[6] المصدر نفسه، ص: 209.

[7] سيد حسين نصر، دراسات إسلامية، ص: 129، (الدار المتحدة للنشر، ط1، 1975.)

يتخطى حتى مرتبة الملائكة إلى الحضرة الإلهية نفسها[1].

إن تأمل الإنسان في الكون الخارجي يساعده على النفوذ إلى العام الباطني بفضل التشابه والتطابق اللذين يربطان أحدهما بالآخر، والتغلغل أكثر فأكثر في هذه الأعماق وفي الوقت نفسه ينفذ إلى الطبقات العليا من الحقيقة الكونية نحو الكون المجرد، والتحول الباطن للإنسان يشمل استبطان ما هو كوني في ذاته وينطوي ضمن تحرره تحرر الطبيعة فتعود من جديد إلى حالتها الأصلية حيث تكون الطبيعة صورة مباشرة عن الفردوس[2].

لاشك أن الكثيرين يعتبرون في الحل الذي ارتآه سيد حسين نصر للأزمة البيئية الراهنة ردة ورجعية وتطلع إلى الوراء، ويجيبهم ملك المملكة المتحدة في خطاب بعنوان: "الإسلام والبيئة" ألقاها على مسرح شيلدونيان في مدينة أكسفورد بقوله: «إن أيديولوجية الحداثة التي هيمنت على الغرب لقرن من الزمان تلمح إلى أن التقليد هو تطلع للوراء، ما حاولت أن أشرحه اليوم هو أن هذا أبعد ما يكون عن الحقيقة، فالتقليد (والتراث)هو تراكم المعرفة والحكمة التي ينبغي أن تقدمها للجيل القادم، ولذلك فهي بصيرة وتطلع للأمام.

إن التوجه إلى التعاليم التقليدية، مثل تلك التي وجدت في الإسلام التي تحدد علاقتنا مع العالم الخارجي، لا يعني كبحنا في نوع من الجمود الثقافي والتكنولوجي، وكما يقول الكاتب الإنجليزي [***]جي كي تشيسترتون: «التنمية الحقيقية ليست ترك الأمور وراء، كما يحدث على الطريق، ولكن استخراج الحياة منها كما في جذر الشجرة».

وأود أن أذكركم بكلمات ابن أكسفورد[****] سي اس لويس، الذي أشار قائلا: «في بعض الأحيان عليك أن ترجع عقارب الساعة إلى الوراء إذا كانت تخبرك بالوقت الخاطئ ».ما يعني أن العند والرفض للاعتراف أننا قد اتخذنا الطريق الخطأ ليس تقدم، إذا ما أدركنا أننا مسافرين في الاتجاه الخاطئ، فالإجراء المعقول الوحيد الذي يجب القيام به هو الاعتراف بذلك وأن نتقفى خطواتنا عائدين إلى نقطة الخطأ الأولى، وكما قالها لويس: «يمكن أن تكون العودة في بعض الأحيان أسرع طريقة للمضي قدما»، هذا هو الشيء الأكثر تقدما الذي يمكننا القيام به[3] ».

---

[1] المصدر نفسه، ص: 129.

[2] سيد حسين نصر، العلوم في الإسلام، المصدر السابق، ص: 209.

[***]جي كي تشيسترتون (1874- 1936): كاتب وشاعر وفيلسوف وصحافي ومسرحي وخطيب وناقد وكاتب سير ولاهوتي إنجليزي، من مؤلفاته: الارثودوكسية وكتاب الرجل الأبدي، اشتهر بوضعه الفلسفة التوزيعية وانتقاده للماركسية والليبرالية والتقدمية، عن موقع ar.m.wikipedia، تاريخ الدخول: 1-1-2023.

[****]سي إس لويس: (1898- 1963): كاتب وباحث إرلندي، تنوعت اهتماماته بين أدب القرون الوسطى وعلم العقائد في المسيحية والنقد الأدبي والبث الإذاعي والعلاقة الافتراضية بين الخير والشر من أشهر أعماله سلسلة الأطفال الشهيرة التي كتبها بعنوان: سجلات نارنيا ترجمت أعماله لأكثر من ثلاثين لغة، عن موقع: ar.wikipedia، تاريخ الدخول: 31-07-2022.

[3] "خطاب أمير ويلز بعنوان: "الإسلام والبيئة "، تر: محمادي علي محمادي، مجلة أديان، الدوحة، ع: 4، 2012، ص: 24

خاتمة:

في الختام نجمل الأفكار التي وردت في المقال فيما يلي:

إن السبب في الأزمة البيئية الراهنة من منظور سيد حسين نصر هو الرؤية الكونية التي نشأت وهيمنت في الغرب الأوروبي، وامتدت تأثيراتها إلى بقية أنحاء العالم، هذه الرؤية نبذت السلطة الروحية بالمعنى الحقيقي للكلمة، وأنكرت أي مبدأ أعلى من الفرد فأحلت الإنسان موقع الإله بلا منازع.

وقد تمخض عن هذه الرؤية السعي إلى إرجاع كل شيء إلى مقدار الإنسان البشري المعتبر كغاية في حد ذاته، وقد آل هذا التوجه إلى أحط مستوى بشري بحيث لم يبق سوى السعي الحثيث لتلبية الرغبات الملازمة للجانب المادي من طبيعته.

ولما كانت بيئة المحيط الكوني ما هي إلا مرآة تنعكس فيها صورة البيئة الروحية الداخلية للإنسان آل الكون إلى نظام مغلق يرفض وجود أي شيء يتجاوز عالم المادة فكان وصفه بلغة الطول والعرض والعمق والسرعة كافيا لإدراك حقيقته، وبناء عليه نشأ العلم الحديث مركزا على الجوانب المادية في عالم الطبيعة لأجل أن يكون الإنسان سيد الطبيعة ومسخرا لها تسخيرا بمعنى الغزو الأناني الأعمى والهيمنة عليها، فتجاوز الإنسان بذلك مستوى احتمال طاقة البيئة ما ترتب عنه الأزمة البيئية الراهنة.

أما الحل لهذه الأزمة من منظور سيد حسين نصر فيكمن في العودة إلى مركزية الله بدل الإنسان مما يؤدي إلى إعادة القداسة للكون وبالتالي التوجه إلى الطبيعة بغرض استمداد الغذاء الروحي منها، وهذا يتوقف على التأكيد على القيمة المقدسة للمعرفة وعلى طابعها التنويري بأن يصبح هدفها الانعتاق الروحي باندماج الجزء في الكل الموحد، وهذا لا يتم إلا بتفعيل معيار التصنيف الإسلامي للعلوم وفق مراتب الموجودات الكونية التابعة لها ما يترتب عليه أن جميع العلوم ثانوية بالنسبة للميتافيزيقا ؛أي تابعة لها فتستعيد العلوم بذلك ارتباطها ووحدة توجهها في خدمة الحقيقة الدينية، كما تستعيد الطبيعة قدسيتها باعتبار دلالة المظاهر الطبيعية كعلامات أو دلائل تقود إلى معرفة تتجاوز عالم الطبيعة وتقع في عالم الأخلاق وما وراء الطبيعة.

قائمة المراجع :

1. أمير ويلز "الإسلام والبيئة "، تر: محمادي علي محمادي، مجلة أديان، الدوحة، ع: 4، 2012.
2. ساجد الركابي، هديل الأسدي، حق الإنسان في بيئة نظيفة من التلوث، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط1، 2019.
3. سامي عامري، العلموية...الأدلجة الإلحادية للعلم في الميزان، (الكويت، رواسخ، 2021).
4. سيد حسين نصر، العلوم في الإسلام، (تر: مختار الجوهري، تونس، دار الجنوب للنشر).
5. سيد حسين نصر، دراسات إسلامية، (الدار المتحدة للنشر، ط1، 1975.)
6. سيد حسين نصر، دليل الشاب المسلم في العالم الحديث، (تر: فاروق جرار، صادق عودة، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2004.)
7. سيد حسين نصر، مقدمة إلى العقائد الكونية الإسلامية، (تر: سيف الدين القصير، سوريا، اللاذقية، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 1991).
8. عبد العزيز الدواي، " أضواء على الأزمة البيئية المعاصرة "، سلسلة دراسات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، سبتمبر 2012.
9. عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث (تر: عبد الباقي مفتاح، الأردن، إربد، عالم الكتب الحديث، 2017).
10. مايكل زيمرمان، " الفلسفة البيئية"، تر: معين شفيق رومية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ج1، ع: 332، أكتوبر 2006.
11. Alexander Rosenberg , the atheist's guide to reality enjoying life without illusions , , (U.S.A ,2012).
12. Seyyed Hussein Nasr , science and civilization in islam , (abc International group ,2001).
13. ar.m.wikipedia
14. ar.wikipedia
15. wikiwand.com